في الصالونات الأدبية

في صالونات العاصمة الفرنسية سابقاً، تطرح الأسئلة، ويدور جدل موضوعي حول إجابات ممكنة عنها:

هل الجمال ضروري لخلق الحب؟ هل يتلاءم الزواج مع الحب، وأيهما الأفضل؟ أن يتزوج الشاعر أم يبقى حراً طليقاً يتنقل كالبلبل من غصن إلى غصن، ومن روض إلى آخر؟

الحاضرون من خيرة وجوه المجتمع الفرنسي ومن نخبة السيدات الرائعات الجمال، يتناقشون حول كل موضوع مناقشة جادة في جو من الحرية الفكرية، حتى اشتهر أمر تلك الصالونات، وراح يقصدها ويشارك فيها كبار الشخصيات من امثال ريشليو والشاعر كورنيه وغيرهما من ذوي الشأن وضباط القصر الملكي.

إنشاء الصالونات الأدبية في بلاد الناس عموماً، ردة فعل على تدني الاداب العامة، وعلى الفظاظة السائدة في المجتمع ولو نسبية. لذا، من طليعة أهداف هذه الصالونات محاربة سماجة الألفاظ وخشونتها في المجتمع، وحتى في الأوساط السياسية العليا، وتنسيق قواعد اللغة، وتنظيم قوانين الأنواع الأدبية، والاطلاع على إنتاج حملة الأقلام، في سبيل تنقيحه. المسائل الأدبية والفكرية ومتعة الحوار والمحادثة استأثرت بأوفر قسط من اهتمام الحاضرين، إلى أن نتج من ذلك ادب الحوار الذي وضع اسسه السليمة قدامى فلاسفة الاغريق، والذي من أهم مظاهره الايجابية والسلبية على السواء:

١ – التصنّع في السلوك، فقد بحثت النبيلات عن الاناقة، وعن التصنع في الاداب الاجتماعية أو ما يعرف اليوم بالبروتوكول الاجتماعي.

٢ – التصنع في العواطف وإنما مع كره الأمور المادية!

٣ – التصنع في الذوق. فلم ينحصر الجمال الأدبي في الأفكار المعبر عنها بل في أسلوب التعبير خصوصاً.

لم تخل تلك الصالونات من الأحاديث السياسية وكثيراً ما دارت في تلك المنتديات ألعاب مسلية وأغان وموسيقى.

ثم غدت المنتديات هذه ملتقى للحوار البناء والأحاديث الفلسفية العميقة. وهذا ما أدى في يومنا هذا إلى الثقافة والمجتمع خدمات جليلة تقابل بالشكر والامتنان. هناك خصوصاً المقاهي الفلسفية التي تروّج أكثر فأكثر في مختلف مجتمعات الغرب.

سبق العرب الغرب في هذا المجال بعدة قرون، فكانت للشريفات المترفات من قريش منتديات يسودها الأدب والطرب، وينشد فيها الشعر العفيف الحافل بالرقة والجزالة والابداع.

أعظم مجلس ادبي قام في قرطبة، ربته ولادة بنت المستكفي بالله، وارتاد مجلسها كبار رجال الدولة والأدب من أمثال ابن زيدون والوزير ابن عبدوس، وكانت ولادة تحاور الأدباء والكبراء، وتنتقد ما تلقى في قصائد الشعراء من ضعف واضطراب.

وللأميرة نازلي فاضل مجلس في القاهرة، ارتاده رهط من أفذاذ العلماء والشعراء والكتّاب، حسبنا أن نذكر منهم الإمام المصلح الشيخ محمّد عبده ونصير المرأة قاسم أمين وأمير الشعراء أحمد شوقي.

وللآنسة مي زيادة في عاصمة وادي النيل، صالون أدبي استقبلت فيه مساء كل ثلاثاء كبار رجالات الفكر والشعر والقلم. ومن أشهر روّاده: إسماعيل صبري وولي الدين يكن وحافظ إبراهيم وخليل مطران وطه حسين وأحمد لطفي السيّد وعباس محمود العقاد وانطوان الجميل وشبلي شميل ويعقوب صروف.

واتفق أن إسماعيل صبري كان بعيداً عن القاهرة في يوم الثلاثاء فأبرق إلى الآنسة مي هذين البيتين اللطيفين:

روحي على بعض دور الحي حائمة
كظامئ الطير حواماً على الماء
إن لم أمتع بمي ناظري غدا
لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء

كانت مي تدير الحديث بما اشتهرت به من ذكاء وقاد، ومنطق حلو يجذب الاسماع ويشد القلوب والخواطر ويملأها ارتياحاً وإعجاباً، وكان شبلي شميل كثير الإعجاب بمي حريصاً على المشاركة في ندوة الثلاثاء، وكان يصعد الى منزلها على سلّم من نحو سبعين درجة، ولا يتعب مع انه حظر عليه زيارة بيت له درج، والشميل يُعدّ من فلاسفة الطبيعة. وقد اسمع الآنسة مي قصيدة مطلعها:

هو الحب أكسير الحياة بلا مرا
ولولاه ما كان الوجود كما ترى

فضحكت مي وقالت: صدقت، ولكن اعتراضي شديد على تعبير (بلا مرا) فإني اخشى أن يفتح القراء ميمها، وفي هذا ما يدل على سرعة بديهة مي وبعد نظرتها.

حبذا لو يمسي لبنان بأسره منتدى أدبياً عامراً يخترق حجب المادية المتمادية وصولاً إلى الكشف عن سر الطبيعة الضنينة بسرّها وسر الإنسان في همسه الذي منه النجوى، بوح اذن لأذن، وتمتمة صلاة في فلاة، أو رنين ناقوس بعيد، يدعو، في الأمسيات، المتعبين، إلى الراحة من عناء القسوة والحقد.

د. جهاد نعمان